

**الفصل الثاني**

**ملحق**

**إجتهادات من القرآن الكريم**





تَبَخُّسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۗ  
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

(الأعراف ٨٥)

فأرسل الله نبيه العربي " شعيبا " إلي هؤلاء الكفار (وشعيب هو حفيد حفيد إبراهيم الخليل: شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مديان بن إبراهيم ، من زوجته قطورة. وكما لقبه المصطفى " خطيب الأنبياء "). ولقد ذكر الله اسمه إحدى عشر مرة في أربع سور بكتابه العزيز .

دعا شعيب قومه أهل مدين إلى عبادة الله الواحد، وإلى العمل الصالح والمعاملة العادلة بينهم وبين بعض، وعدم الإفساد في الأرض. ولكنهم رفضوا ساخرين وحذره شعيب من عذاب الله. ولكنهم هددوه ومن تبعه بالرجم والطرده من ديارهم :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

(الأعراف ٨٨)

﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزِيرٍ ﴿٨٧﴾ ﴾

(هود ٩١)

هنا حقت على قوم مدين كلمة العذاب، فأصابهم "بصيحة جبريل" (أو الرجفة، أي الزلزلة ) فهلكوا جميعا تحت أنقاض ديارهم :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ  
فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنَّمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(العنكبوت ٣٦-٣٧)

(الأعراف: ٨٥ - ٩٣) (هود: ٨٤ - ٩٤) (الفرقان: ٣٨، ٣٩) .

أما أصحاب الآيكة فكذبوه في دعوته وأنتموه بالسحر :

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾  
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾

(الشعراء ١٧٦-١٧٨)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٧٦﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ  
وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٧٧﴾ ﴾

(ص ١٢-١٣)

وطلبوا منه متحدين وبكل غباء وإنكار لنبوته، أن يسقط عليهم قطعا من السماء  
لنعتيبيهم، إن كان من الصادقين :

﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نُّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ  
السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

(الشعراء ١٨٦-١٨٧)

ولما أستمروا على تكذيبه، أخذهم عذاب " يوم الظلة " بأن سلب الله عليهم الحر الشديد وحبس عنهم الريح سبعة أيام ولياليهم حتى الأختناق. وغلبت مياههم، فلم ينفعهم ظل ولا ماء. ثم سير إليهم غياما فتجمعوا تحته للأستظلال به من وهج الشمس المحرق. وبرقت السماء ورعدت وأمطرت عليهم مطرا مكهربا صاعقا يكاد ماؤه يغلى كالنار، فأحترقوا جميعا، وكان حقا يوم عذاب عظيم :

﴿ قَالَ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ یَوْمِ الظُّلَّةِ ۗ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ یَوْمٍ عَظِیمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾

### (الشعراء ١٨٨-١٨٩)

يرى بعض المفسرين أن أهل مدين وأصحاب الأيكة عشيرة واحدة... ! لأن شعيب أخذ عليهما نفس المأخذ المحرمة. كما أن عذاب أهل مدين بالصيحة والرجفة لا يختلف عن عذاب أصحاب الأيكة يوم الظلة، فجميعها فى تتابع وتكامل...! وهناك من يرى أن أصحاب الأيكة هم قوم شعيب....!

نعم إن الصيحة تتبعها الرجفة (أو الزلزلة) ولكنها تأتى فجأة وخاطفة دون سابق إنذار. وهذا ممكن علميا. فالصوت يتكون من موجات ذات أطوال وسرعات تردد محددة. والصيحة تشبه الصوت فى التكوين، لكن أطوال موجاتها أقصر، وسرعات تردد موجاتها أعلى بدرجة فائقة حسب شدتها، وقد تصل إلى حد القدرة على تقطيع الصخر. شئ يشبه ما توصل إليه الطب حديثا فى تقطيع حصى الكلى (ويسمى بالموجات فوق الصوتية) .

أما عذاب يوم الظلة، فهو عذاب سببه الإختناق والإحترق الممتد لفترة طويلة تصل إلى عدة أيام. وهو يختلف علميا كما سبق وصفه .

فإذا أضفنا إلى هذا أن شعيبا خرج من أهل مدين، وكان بينه وبينهم نسب وتراحم، كما نص على ذلك القرآن الكريم في ثلاث سور مختلفة: (الأعراف: ٨٥) (هود: ٨٤) (العنكبوت: ٣٦) وبنفس العبارة: (وإلى مدين أخاهم شعيبا...) في حين يغفل كلمة "أخاهم" بالنسبة لأصحاب الأيكة في سورة (الشعراء: ١٧٦-١٨٠) ليس سهوا - حاشا لله - بل متعمدا لكي يدل على أنهم غرباء عن شعيب وعن قوم مدين ولهذا أسماهم القرآن الكريم "أصحاب الرّس" ، مع ذكر "أصحاب الأيكة" في نفس السورة وفي آيتين شبه متعاقبتين متعمدا الإشارة إلى هذا الاختلاف .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴿١٤﴾ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٥﴾ ﴾

(ق ١٢-١٤)

قال ابن زيد: أرسل الله شعيبا رسولا إلى قومه أهل مدين، وإلى أهل البادية وهم أصحاب الأيكة. (الجامع لأحكام القرآن - القرطبي: ١٣ - ١٤٥) ((١٩٩٦م)).

وهكذا يتضح لنا ما يجعلنا نرجح أن الواقعتين مختلفتان ومتعاقبان والله سبحانه وتعالى بغيبه أعلم .

## موسى ونشأته بين العبرانية والمصرية

إستضافت مصر العبرانيين حيناً من الدهر، قد يمتدّ تقريبا إلى ستة قرون، إبتداء من زيارة نبي الله إبراهيم لمصر في نهاية الأسرة ١٢، إلى نهاية الأسرة ١٩ ( أي من حوالي عام ١٨٠٠-١٢٢٠ ق.م. ). وهم من القبائل السامية التي جاءت من وسط وغرب آسيا إلى العراق فالشام فأرض كنعان ( فلسطين ) فمصر، للزيارة أو العمل أو الإستيطان . ولذلك أطلق على كل من عبر النهرين دجلة والفرات غربا إلى الشام "عبراني" . فكانت سلالات إبني نوح سام وحام، مثل: إبراهيم ولوط والهكسوس ويوسف ويعقوب والأسباط من أهم العبرانيين الذين وفدوا إلى مصر. ولقد إستوطن العبرانيون مصر وتمركزوا بمنطقة شرق الدلتا ، متخذين بلدة "أواريس" ( أو تانيس وحاليا صان الحجر ) مركزا لهم. ولهذا أمنت سرا قلة من سكان هذه المنطقة من المصريين بـ "شريعة التوحيد" الوافدة ، وعبادة الله الواحد، ونبذ عبادة الأوثان، والتحلي بمكارم الأخلاق وبالأعمال الصالحة لتنتفعهم في دار الآخرة. وبقيت هذه الشريعة حبيسة في صدور من آمن بها، وتوارثوها عبر الأجيال . وكان المصريون يعاملون العبرانيين معاملة حسنة، فعاشوا وتناسلوا بشرق الدلتا في سلام وأمان ، وتعلموا اللغة المصرية القديمة ، وزامنوا، ولكن عن بعد وبدون إتصال، عهد "الملك إخناتون" (أمنحوتب الرابع) المتواجد في طيبة بجنوب مصر، وثورته الدينية المستقلة (أو دينه الجديد الداعي إلى وحدانية الإله، لأول مرة في تاريخ العالم المكتوب) حتى نهاية الأسرة ١٨ .



وقامت الأسرة ١٩، في حوالي عام ١٣١٠ ق.م.، على أكتاف عائلة مصرية من الشعب، ولا علاقة لها بالأسرة الملكية السابقة. وكان مؤسس هذه الأسرة "الملك رمسيس الأول" ضابطا بجيش الملك إخناتون. ونشأت عائلته القوية ببلدة "تانيس" بشرق الدلتا معقل العبرانيين . ولما كانت هذه

المنطقة مقر عبادة الإله المصري "ست" (أي المجل)، لهذا أسمى الملك رمسيس الأول ابنه الوحيد "سي تي". الذي نشأ نشأة عسكرية، وكان بدوره قائدا حربيا وإداريا محنكا. خلف سي تي أباه الملك بعد فترة وجيزة، وتزوج أخته ورزق بولدين وبناتا. مات الولد الأكبر في حياة أبيه، وآلت ولاية العهد إلي الولد الثاني "رمسيس الثاني". وأشرك الملك في شئونه ابنه، وهو لا يزال في العاشرة (حوالي عام ٢٩٥ ق.م.) ثم أعلنه وليا للعهد، وتوجه مرتين شريكا له في الملك بعد ذلك بسنوات



قليلة (لم يعرف عددها). وبذلك أصبح رمسيس الثاني مثل والده فرعون ثامن للبلاد في نفس الوقت. وقد خلف أباه بعد حكم مشترك بلغ مداه ١٣ سنة (وقيل ١٩ سنة).

كان الملك سي تي الأول قد أقام له بيتا (أو منتجعا) صيفيا بشمال شرق الدلتا، على الضفة الشرقية لفرع نهر النيل "البيلوزي" الذي يصب في بحيرة المنزلة، شمال مقر العبرانيين (أو بني إسرائيل، سلالة يعقوب ويوسف عليهما السلام) وعلى مقربة منه. وكان يطلق علي هذا المنتجع إسم "الفرعون" (تعريب بر+ع، أي البيت الكبير أو الصرح)، وهناك نشأ رمسيس الثاني وأخته الأميرة "سات رع"، وكانا يهويا الإقامة فيه بعيدا عن الحياة الصاخبة والطقس الحار بالعاصمة طيبة في الجنوب. وربما كان ذلك سببا في تأثر أخته، فقط، بشريعة بني إسرائيل (نتيجة إختلاطها بنسائهم) وعليه إيمانها سرا بوحدانية الله. أما هو فقد كان منشغلا مع أبيه في الحكم.

تزوج رمسيس الثاني بعد أن صار شريكا في الملك (أي وهو الفرعون الثاني الأصغر) من أخته الأميرة، كما فعل والده من قبل (وهي عادة مصرية قديمة، وكانت بلا شك تسهم في تقوية مركز الملك على عرش البلاد) وأقاما

بالببت الكبير. وأصبحت الأميرة تحمل العديد من الألقاب منها : بنت الملك من صلبه ، وزوجة الملك العظيمة .



ولما ثارت قبائل "الشاسو" (وهم من بنى عيسو توأم يعقوب، والمقيمة بجنوب فلسطين وبسيناء) ضد السلطة المصرية، وعاونهم في ذلك أبناء عمومتهم العبرانيون من بنى يعقوب من داخل مصر، وبعد فشل تمرد الشاسو، تغيرت معاملة السلطات المصرية للعبرانيين، لخيانتهم، إلى معاملة سيئة. ولقد بلغ هذا التغير أقصاه في عهد الملك رمسيس الثاني " فرعون ذو الأوتاد" أي ذو المسلات (في اعتقادنا، لأنها تشبه الأوتاد المقلوبة) ولقد لقبه القرآن الكريم بهذا اللقب

ربما لأنه أقام وحده ما يزيد عن ٣٥ مسلة... !: " وفرعون ذى الأوتاد " ( الفجر: ١٠ ). والسبب لهذا التغير في المعاملة، كانت رؤيا للفرعون، بأن نارا جاءت من بنى يعقوب فأحرقت عرشه :

﴿ نَتَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُم طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦١﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٦٢﴾ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ وَنَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(القصص ٣-٦)

وفسرها الكهنة بأن مولودا ذكرا من العبرانيين سيكون على يديه نهاية عرش الفرعون. فأصدر الفرعون أمره بقتل كل مولود ذكر تلده عبرانية عام بعد عام (أي عام قتل وعام استحياء ) حتى لا يباد نسلهم من الذكور لحاجة البلاد إلى عمالهم .



في هذا الجو المرعب تزوج أحد أشراف العبرانيين "عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب" من عمته "يوكبد" (أي الموقرة) وهما من القلعة الموحدة المؤمنة. وولدت له بنتا وولدين: مريام وهارون، في عام استحياء، وموسى، في عام قتل (راجع شجرة نسب بني يعقوب). وكان مولد موسى (عام ٢٩٣ ق.م.) في نفس العام الذي اشترك فيه رمسيس الثاني في الحكم مع والده سبتي الاول. وأخفت "يوكبد" موسى عن قومها وعيون فرعون. وألهم الله أم موسى، إذا خشيت أن يعرف فرعون أمره ويقتله، أن ترضعه، ثم تضعه في صندوق وتلقيه في نهر النيل غير خائفة ولا محزونة. فقد تكفل الله لها بحفظه ورده إليها، وسيجعله من المرسلين :

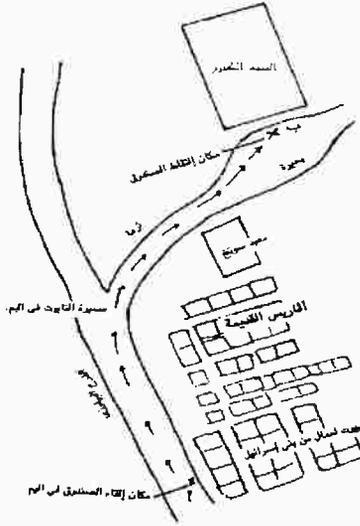
﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

### (القصص ٧)

صدقت أم الوليد هذا الإلهام، ونفذته ليلا بكل دقة وثبات وثقة. وكان بيتها، بحي العبرانيين، يقع بالقرب من "البيت الكبير" من جهة الجنوب. ولما رأت أن تيار مياه النيل سحب الصندوق شمالا إلى البيت الكبير، وأنه لا محالة واقع في يد فرعون. ووسوس لها الشيطان على وليدها، فأخذ الدم يهرب من قلبها (أي يقل من ارتفاع سرعة نبضاته) من شدة إحساس فؤادها بالخوف والهلع، واصابها هبوط شديد. وكاد أمرها ينكشف، لولا أن ربط الله على قلبها (أي ثبته بالصبر والطمأنينة) لكي لا يتم ذلك، وأيضا لتكون من المؤمنين :

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾

### (القصص ١٠)



١ - مكان إلقاء السمك في البحر  
٢ - مكان إلقاء السمك

وفي الصباح عثر الجوارى وهن يغتسلن على الوليد المجهول الإسم والجنسية ، وأحضره إلى "إمرأة فرعون" (الإين) كما يقول القرآن، أي "ابنة فرعون" (الأب) كما تقول التوراة .

﴿ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾

(القصص ٨)

لم تكن الملكة الزوجة الملهمة قد رُزقت بطفل بعد، إما لصغر سنها أو لأي سبب آخر. وكانت، على خلاف أهلها، مؤمنة ورحيمة لسببين :

أولاً - لسالتها التي لم تكن، أباً عن جد، من البيت الملكي القديم. لكن نبئت بذرتها في أرض جوشن بشرق الدلتا من أيام النبي يعقوب والأسباط (أي من حوالي ثلاثة قرون) وحماها الله عبر العصور .

ثانيا - لنشئتها في بيت أبيها الصيفي بشرق الدلتا، بالقرب من مقر العبرانيين. وبالتالي لإختلاطها المؤكد ببعض الصديقات العبرانيات من الأسر المحافظة الموحدة بالرب (والمقيمة في نفس المنطقة) والتأثر بهن لدرجة الإعتقاد بوحدانية الإله. فألقى الله في قلبها محبة هذا الوليد. وأحس زوجها الفرعون أنها متعلقة به، والذي فكر في قتله لربما يكون أحد أطفال العبرانيين، وهم في هذه السنة محكوم عليهم بالموت. ولكن الملكة الشقيقة أزلت هذه الفكرة من مخه بقولها : إن هذا الطفل سيكون مبعث سرور لى ولك. وطلبت منه، وهى ترقق قلبه، أن يستقيه رجاء أن ينفعا به، أو يتبنياه :

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(القصص ٩)

وكان رد الفرعون: يكون مبعث سرور لك، أما لى فلا حاجة لى فيه. لذلك هدى الله امرأة فرعون، وحرّم الفرعون من الهداية. ووهب الفرعون الطفل لإمرأته عن طيب خاطر (فهى أيضا شقيقته الوحيدة) وسمح لها بتربيته فى البيت الكبير، بعيدا عن العاصمة وإدارة الحكم. وهو لا يدري بما قدره الله فى شأنه مستقبلا. وكان هذا تدبير من الله تعالى للوليد ولأمه العبرانية الصديقة التى ولدته، لكى يعود إليها لتكون له مرضعة، وهى آمنة من الخوف. ولكى لا تحزن، كما وعداها الله :

﴿ وَقَالَتِ لِأُخْتِي قُصِيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١١﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿١٢﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

(القصص ١١-١٣)

وكذلك تدبير من الله لأمه المصرية بالتبني والإستحياء والتربية، بعيدا عن طبيعة تصرفات زوجها الجافة الظالمة. والتي كانت هي غير راضية عنها. وأسمت الرضيع بلغتها المصرية القديمة "موسى" ( أي الوليد ). وقالت التوراة، أن التي أنتشلت الرضيع من مياه النيل هي ابنة فرعون (الأب) وأسّمته "موشية" بالعبرانية ( أي نشيل الماء) وترجمتها "موسى". وقصة التوراة هنا ليس فيها إختلاف (على ما نعتقد) مع ما جاء بالقرآن الكريم، الذي يقول أن التي عثرت وتبنت الوليد هي امرأة فرعون (الإبن المقيمة بالبيت الكبير بالتأكيد، وليست امرأة الأب المقيمة بطيبة)، حيث أن امرأة الإبن كانت أخته (أي ابنة فرعون الأب، فالزوجة والإبنة شخص واحد، وبذلك صدقت التوراة وصدق القرآن الكريم الذي :

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۗ تَزِيلُ مَنْ حَكِيمٍ ۗ

﴿ حميد ﴿ ١٢ ﴾ ﴾

(فصلت ٤٢)

وهذا يؤيد أن امرأة فرعون التي عثرت علي الوليد هي شقيقته وليست مرأة أخري .

بعد إنتهاء فترة الرضاعة، تم رد الوليد مرة ثانية إلى أمه بالإستحياء المصرية، والتي أسّمته بلغتها "موسى" (أي الوليد). وأشرفت على تربيته وتعليمه هي ومن ورائها زوجها الفرعون على أحسن وجهه، وعلى يد كبار المدرسين. حيث كان العلم آنذاك في أعلى صورته، حتى صار موسي شابا يافعا:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَاسْتَوَىٰ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي

(القصص ١٤)

﴿ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١٤ ﴾ ﴾

وهذا يبين لنا، أنه حتى الفرعون قد ناله من حب الإله للوليد، جانب :

﴿ قَالَ أَلَمْ نُنزِّكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِيْنَا مِنْ عَمْرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

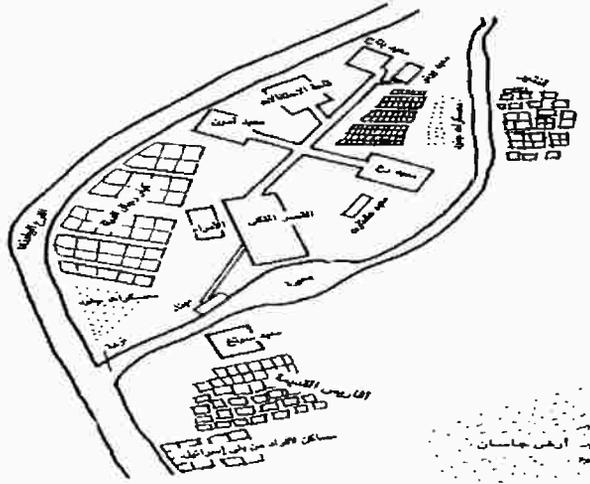
(الشعراء ١٨)

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ  
فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴿٣٩﴾ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي  
وَلتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي ﴿٤٠﴾ ﴾

(طه ٣٨-٣٩)

بدليل أنه عندما آمنت إمرأته فيما بعد بموسى وربه، أغمض عينيه عنه، مرغماً أم طوعاً، إلى حين (وخاصة بعد عودة موسى من أرض مدين كرسول من عند الله لدعوته وملاًه لشريعة التوحيد). وعاش موسى حراً طليقاً هو وهارون نحو ٣٧ سنة (١٢٦٠ - ١٢٢٣ ق.م.) لمواصلة دعوته لقومه وللمصريين .

قام رمسيس الثاني خلال إشتراكه في الملك مع أبيه، وإشرافه علي الإنشاءات بالبلاد (عام ١٢٩٥ - ١٢٨٢ ق.م.) بتخطيط مدينة "بررعمسيس" (وتعني بيت ولد الشمس الإله) متخذاً بيت والده هناك بشرق الدلتا نواة لها. وخلال بضع سنين قليلة، قام ببنائها مستعينا بالعمالة العبرانية القاطنة بجنوب الموقع مباشرة. ثم إتخذها، بعد إنفراده بالحكم، عاصمة ثانية لملكه في الشمال الشرقي للبلاد .



مخطط لحيطة دير دندش - (بعد من كتاب فرعون النحاس - تأليف الدكتور - د. محمد مصطفى الخديوي).

لم يذكر التاريخ المكتوب حتى الآن، أي معلومات أكثر عن هذه الملكة الأخت "سات رع" إمرأة فرعون المؤمنة، التي في إعتقادنا (عن كتب السيرة) هي "آسيا بنت مزاحم" - الإسم المُعَرَّب - وهذا يعتبر من فضل الله عليها. إلا أنه قد عُثِرَ على تابوتها فقط، المصنوع من الجرانيت الوردي ومنقوش عليه اسمها، في مدينة "هابو"، وهو الآن بالمتحف المصري .

لما صدر الأمر الإلهي لموسي بعبور البحر ومعه أتباعه إلى سيناء، إتبعهم فرعون وجنوده لمنعمهم. لكن مياه البحر، بعد عبور موسي وأتباعه، إنطبقت على جنود فرعون، الذين أُغْمِيَ عليهم من هول المفاجأة، فأهلكتهم جميعاً بالغرق:

﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾

(طه ٧٨)

يبدو أن الفرعون، كما نقول كتب التفسير، قد قام بتعذيب امرأته لإيمانها بالله. وأنه ربما (في رأينا) قد أخفى جثتها بعد وفاتها حفاظا على سمعة العائلة الفرعونية ٠٠٠! والله أعلم. لهذا طلبت من الله أن ينقذها من هذا البيت الكبير (أي بيت والدها في الأرض) ويبنى لها بيتا آخر في الجنة، وأن ينجيها من فرعون وعمله الظالم ومن قومه المعتدين. فاستجاب الله لدعائها، وكان جزؤها من الله أن ضرب بها مثلا للذين آمنوا، مثلها مثل مريم أم عيسى عليهم جميعا السلام :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَخِجْتِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَخِجْتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْعَمَلِ ﴿١٢﴾ ﴾

### (التحريم ١١-١٢)



تزوج رمسيس الثاني زوجته الثانية (حوالي عام ١٢٨٠ ق.م. وكان قد ناهز الخامسة والعشرين) من الأميرة "نفرتاري مرنموت" (أي جميلة الجميلات) في السنة الأولى من حكمه المنفرد. ثم تزوج بعد ذلك من الأميرة "إست نفرت" والدة أهم ثلاثة من أبنائه، وهم من الكفار. وقيل إنها هي التي عثرت (بعد زواجها وقبل إنجابها لأطفالها) على الوليد "موسى". وبذلك تكون هي امرأة فرعون...! وهناك آراء

أخرى عديدة منها رأي (عن التوراة) بأن امرأة فرعون هي أكبر بنات رمسيس الثاني الثالث، اللاتي تزوجهن (الإبنة - الزوجة) وأيضا أنها إبنة عمه، وكذلك

عمة موسى ...! وقيل أنها من العمالقة ١٠٠٠! وهذا كله نستبعده تماماً لأسباب عديدة قوية وتاريخية، نسرده أهمها :

١- رفض الوليد أن يرضع من المراضع اللآتى أحضرهن آل فرعون، وظل يبكي من الجوع إلى أن حضرت أخته "مريام" بنت عمران العبراني، التي كانت تقص أثره سرا بناءً على طلب أمها المؤمنة الصديقة. فقالت لآل فرعون هل أرشدكم إلى أسرة تكفله وتتعهده بالرضاعة، فقبلوا. وهكذا رُدَّ الوليد إلى أمه التي ولدته، لتكون مرضعة له (طه: ٣٩، ٤٠) (القصص: ١١ - ١٣). هذا اللقاء البسيط السهل ما كان أن يتم "بالبيت الكبير" إلا وهو منتج ريفي صيفي (أى قبل بناء مدينة "بررعميس" العاصمة الثانية للبلاد حوله بأسوارها العالية وبواباتها الكبيرة وحراسها اليقظين، وتحويل البيت الكبير إلى قصر ملكي) وبالتالي قبل زواج رمسيس الثانى من "إست نفرت".

٢- معاشرة "إست نفرت" للفرعون معظم حياته، وإنجابها منه العديد من الأبناء، منهم ولى عهده "مرنبتاح" عدو بنى إسرائيل، وصاحب العبارة "إسرائيل قد خربت وإنقطعت بذرتها".

٣- ظهور الملكة "إست نفرت" فى رسم على لوحة مع الفرعون وبعض أبنائهما وهم يتعبدون طالبين مباركة الإله. وكان ذلك بمناسبة العيد الثلاثينى الأول من حكم الفرعون، أى بعد عودة موسى من أرض مدين ومواجهته، كرسول من الله، لفرعون .

٤- فارق السن بين الفرعون وموسى ( وهو حوالى ١٢ سنة) يناسب زواج رمسيس الثانى من أخته عن من عداها .

٥- قالت بعض كتب التفسير أن الفرعون لما علم بإيمان إمرأته بموسى، بدأ تعذيبها على الملأ. وهذا يرجح كفة أخته على إست نفرت أم أبنائه وولى عهده .

٦- قيل أن امرأة فرعون كانت إبنة عمه ١٠٠٠! مع أنه من الثابت تاريخياً أن والده الملك سيئ الأول كان وحيداً\* .

وهكذا شاءت إرادة الله تعالى أن تجعل امرأة فرعون سبباً في إنقاذ الوليد (موسى) فإستحيته وربته، فكان جزاؤها من الله أن تؤمن به ليكون لها حسن ثواب الآخرة. وكذلك سبباً في هلاك فرعون ( شقيقها، وفي نفس الوقت زوجها الكافر ) وجيشه، وإنقاذ الناس من ظلمه وبغيه .

هذا الإجتهد إن كان صواباً فمن الله سبحانه، وإن كان خطأ فمن نفسى، إلى أن يكتشف علماء الآثار والتاريخ ما يوضح هذا المجهول ١٠٠٠ ؟ والله بغيه أعلم .

\* راجع المراجع التالية: ٣ : ١٨ ، ١٩٣ (١٩٩٤ م).

١٤ : ٦ ، ٤٢٧ - ٤٣١ .

١٤ : ٧ ، ١٠٧ (١٩٩٤ م).

١٩ : ٢ ، ١٤٧ (١٩٩٤ م).

٢٠ : ٤ ، ٨٩٩ (١٩٩٨ م).

تفسير ابن كثير: ٤ ، ٣١٤.

تفسير الألبوسي: ٢ ، ١٦٣.

## من هو هامان قرين فرعون موسى.....؟



الإله آمون

إنفرد القرآن الكريم الذي أنزل في مطلع القرن السابع الميلادي بذكر اسم "هامان" في ست آيات بثلاث سور (القصص: ٦، ٨، ٣٨. العنكبوت: ٣٩. غافر: ٢٤، ٣٦). وهو لقب مصري قديم، له معنيان يكمل أحدهما الآخر :

الأول - يتكون الاسم من مقطعين (ها + آمان) وتعريبها "النافذ إلى آمون"، وهو لقب كبير كهنة الإله آمون.

والثاني - ترجمة "هامان" هي: مرتفع الهامة أو الرأس العالى. وهو لقب يطلق عادة على الشخصية الرئاسية التي تجمع بين القيادة الدينية والسلطة التنفيذية.

كان هامان مصرياً من قوم فرعون موسى (الملك رمسيس الثاني). ومن الواضح أنه كان أكبر رجال البلاط قوة وأشدهم نفوذاً بعد فرعون نفسه. يدل على ذلك أن القرآن الكريم ذكر أسم هامان ملاصقاً وقريناً لأسم فرعون في أربع من الآيات الست السالفة الذكر، وهى :

﴿ وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص ٦)

﴿ فَالْتَقَطَهُ آتِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴾ (٨)

(القصص ٨)

﴿ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ  
فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

(العنكبوت ٣٩)

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُونِ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

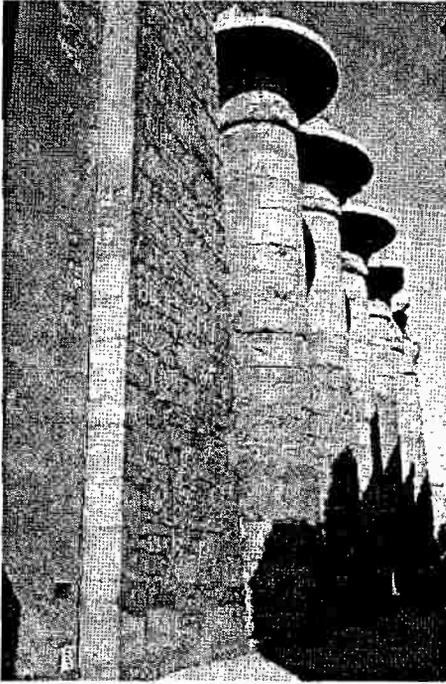
(غافر ٢٤)

كما أن هامان، كان يمثل السلطة الدينية التي يعتمد عليها المصريون القدماء في نظام الحكم. فكان الملوك يعتقدون فكرة الملك المقدس الذي يدير شؤون البلاد بالتفويض الإلهي. فهو ابن الإله، وله على شعبه حق الطاعة والتقديس. وتدل على ذلك الأسماء التي يتحلون بها مثل: "مري آمون" ويعني حبيب آمون، أو "مي آمون" ويعني الذي هو كأمون وهكذا... وهي ألقاب للملك رمسيس الثاني، بل إن اسم "رعمسس" أي "رمسيس" يعني "ولد الإله رع" الشمس - الإله. من هنا أتت بالتبعية أو تولدت سلطة وقوة رجال الدين وعلى الأخص "هامان" الذي لم يكن فقط أقوى مؤيدا لفرعون، بل كان هو نفسه الكاهن الأول لآمون. وبالتالي يتضح أنه كان أحد أقطاب السلطة أو مراكز القوى الثلاثة في نظام الحكم في هذا العصر، وهي الملك والكهانة والطبقة (أي الطبقة الغنية).

توجه موسى برسالته إلى فرعون بالإسم، وكان مقرونا بإسم هامان وقارون، كما ذكرنا بالقرآن الكريم. وهذا يؤكد على أن هامان كان أحد أقطاب السلطة، وليس تابعا أو خاضعا تماما لفرعون، كما أشار أحد الكتاب، وفي نفس الوقت لم ترد أي إشارة عنه بالتوراة. كذلك لم يجد المؤرخون له أي سند في التاريخ المصري القديم حتى اليوم. ولقد رشح أحد المصادر، أحد وزراء الملك رمسيس الثاني وهو "رع حتب" أخو الكاهن الأكبر "منموسى" للإله آمون لإسم هامان، لما له من شهرة واسعة وأسرة عريقة و ألقاب عديدة إلى الحد الذي

يجعله يجمع بين يديه السلطات الدينية و الحكومية و القضائية . و للعلم، كان عدد الكهنة الذين شغلوا منصب الكاهن الأول للإله آمون بالكرنك في عهد الملك رمسيس الثاني يربو على السنة... ويمكننا باستخدام المعلومات المتاحة أن نضع ثلاث صفات أساسية يمكن بها التعرف على هذه الشخصية المجهولة، وهي :

- ١- صفة التدين العميق اللازمة لمنصب الكاهن الأول لأمون الذي يدير شؤون الإله الدينية والديوية معا .
- ٢- صفة قوة الشخصية المنفذة اللازمة للقبط الحاكم .
- ٣- الدراية التامة والخبرة بعلم الهندسة والعمارة .



لقد دلت الظواهر علي أن الملك "رمسيس الثاني" قد عاصره عدة كهَّان عظام، مثل: "وننفر" و "باسر" و "أمنحتب". ولكن الوثائق أطلعتنا بأن الذي كان يشغل هذه الوظيفة حتي نهاية حكم هذا الفرعون هو الكاهن الأكبر "باك إن خنسو" للإله "آمون" كما جاء علي الآثار التي أُرخت بعهد "رمسيس الثاني".

كان "باك إن خنسو" طيبي المولد (حوالي عام ١٣٢٤ ق.م.) وكان أبوه يعمل كاهنا ثانيا بمعبد "آمون" بالكرنك. تعلم الإبن في صباه في مدرسة الكتبة بالمعبد نفسه، والتي كان يتخرج منها كل العظماء. ثم تدرج في كل الوظائف. وبعد خمسة وخمسين سنة خبرة، وفي العيد الثلاثيني الأول لحكم الملك "رمسيس الثاني" (أي في حوالي عام ١٢٦٠ ق.م.) عُيِّن كاهنا أول للإله "آمون"، وقد ناهز الرابعة والستين ولمدة ٢٧ سنة (أي حتي بلغ الحادية والتسعين، وهي السنة التي طلب فيها من الفرعون "رمسيس الثاني" إحالته علي المعاش بسبب تقدم سنه. وفي نفس السنة (عام ١٢٣٣ ق.م.) نصبَ فيها تمثاله في معبد الكرنك، وكان ذلك في حياة الفرعون رمسيس الثاني. وهذا يدل علي أن الفرعون قد رقيه إلي وظيفة كاهن أول لما أنس فيه من فضائل وصفات حسنة، ومُضِيه نحو سبعين سنة في سلك الكهنة. بالإضافة إلي علمه ومهارته في فن العمارة، وهي التي لفتت نظر هذا الفرعون صاحب الإنشاءات العظيمة. فقد عُرف أنه كان المسئول عن إنجاز معبد الأقصر، وأنه أضاف إليه ردهة وبوابة ضخمة من الجرانيت، صُوِّرت علي جدارها معركة "قادش" الشهيرة. ولقد نُسبت هذه البوابة إلي "باك إن خنسو" بوجه خاص .

في أواخر عصر الأسرة ١٩، وبعد موت الفرعون "رمسيس الثاني"، حكم ابنه وولي عهده "مرنبتاح" (أي محبوب الإله بتاح) لمدة عشر سنوات تقريبا، حيث كان كبيرا في السن. ولما تدهور الحال بالإمبراطورية المصرية الثانية، وتنازع ذوي النفوذ والمطامع للوصول إلي العرش (مثل الإخوة وأولادهم، وحكام الأقاليم، والكهنة)، ونهبت ممتلكات الدولة. وظلت مصر عدة سنوات كأنها بدون حاكم، حتي عام ١١٩٥ ق.م. :

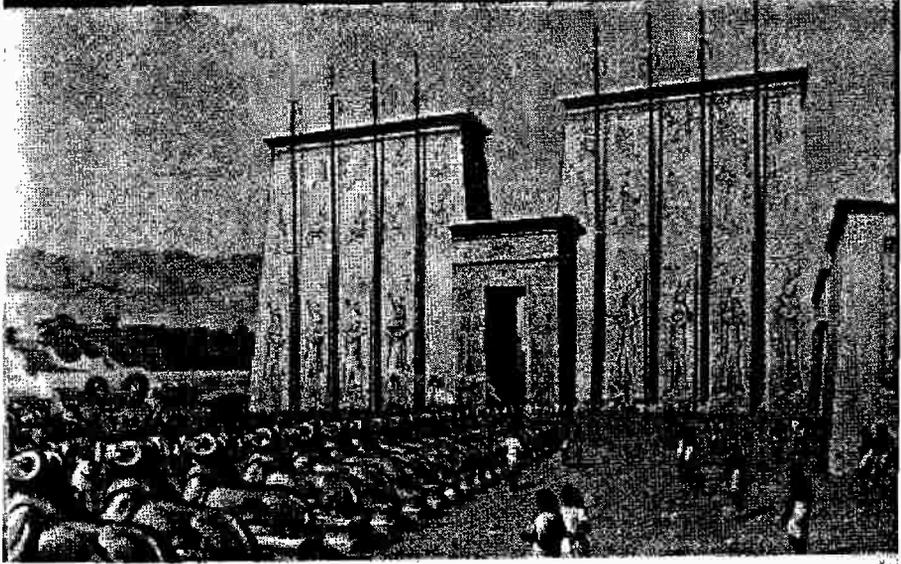
﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ خَجَلْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

### (الدخان ٢٥-٣١)

في هذا العام ظهر من أنقذ البلاد، واسمه "ست نخت" (أي ست المنتصر). ونجح بالنهوض بالبلاد، وأسس الأسرة العشرين. وجاء من بعده إبنه "رمسيس الثالث" (عام ١١٩٢ - ١١٦٠ ق.م.). وكان آخر الملوك المحاربين العظام، الذين حافظوا علي الإمبراطورية المصرية الثانية، وسطر وصور إنتصاراته ضد الشعوب الهندو-أسيوية (وهي شعوب البحر المتوسط) المعتدين، علي جدران معبد "هابو" بطيبة (الأقصر حاليا). ودارت المعركة البريه عند بلدة رفح علي الحدود الشرقية. أما المعركة البحرية، التي اعتبرت أول معركة كبري مسجلة في العالم، فكانت أمام مصب فرع نهر النيل عند ميناء "رشيد"، عام ١١٨٤ ق.م..

وهنا تجدر الإشارة إلي ما قيل، بأنه يُوجد ثلاثة كهنة باسم "باك إن خنسو" في عهود "تحتمس الرابع" و "رمسيس الثاني" و "رمسيس الثالث". غير أن معظم الأثريين وصلوا إلي نتيجة، أن "باك إن خنسو" الكاهن الأكبر للإله "آمون" كان في ذلك واحداً، وهو الذي عاصر عهد "رمسيس الثاني" (كما جاء بموسوعة مصر القديمة، للأستاذ الدكتور سليم حسن). ولا يبعد أن "باك إن خنسو" قد مات بعد أن ناهز السابعة بعد المائة، ودفن في قبره الذي نحته لنفسه في جوف "تل ذراع أبي النجا" رقم ٣٥. وكان ذلك في عام ١٢٤٧ ق.م.، أي في عهد الملك "مرنبتاح" ابن الملك "رمسيس الثاني".

لقد نجحت بعثة الآثار المصرية، التابعة للمجلس الأعلى للآثار، في الكشف (حديثًا جدًا، نهاية عام ٢٠٠٦ م.) بطريق الكباش، الذي كان يربط بين معبدي الكرنك والأقصر، عن لوحة ضخمة منحوتة من الكوارتزيت تخص "باك إن خنسو" كبير كهنة الإله "أمون". حُفِرَ عليها نص هيروغليفي، يشير إلى أن الكاهن قام بالعديد من الإنشاءات داخل الصالة الكبرى لمعبد الكرنك .



على ذلك فإننا نرجح (ولأول مرة) أن هذا اللقب "هامان" الذي جاء بالقرآن الكريم، ينطبق على الكاهن "باك إن خنسو" الذي شغل وظيفة "الأمير الوراثي" رئيس كهنة كل الآلهة، وكذلك الكاهن الأول لأمون في الكرنك، خاصة وأنه كان يتفرد بمهارته في فن العمارة. ولقد نفذ فعلا بعض إنشاءات هذا الفرعون صاحب المباني العظيمة، مثل: تعديل مبنى معبد الأقصر، وإقامة مسلتين لا تزال قائمتين حتى الآن بالأقصر وباريس، وكذلك بناء السفن العظيمة التي تسبح علي نهر النيل للآلهة :

\* جريدة الأهرام في ١٨ - ١٢ - ٢٠٠٦ م. ص ٤٠ (من غير عنوان) .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدَ لِي  
يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي  
لَأُظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

(القصص ٣٨)

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٧﴾ أَسْبَابَ  
السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظُنُّهُ كَذِبًا ۗ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ  
لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي  
تَبَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

(غافر ٣٦-٣٧)

فما كان بناء " الصرح " ليتم إلا بأمر من الكاهن الأكبر ، وبأمر رجل  
يجمع من المعرفة والعلم بين الدين وهندسة التشييد .... و الله بغيبه أعلم .

## آيات موسى عليه السلام

جاءت بالقرآن الكريم معجزات سماوية عديدة لموسى ولقومه ولمن إبتعه، ولفرعون وقومه ، فى مقامات مختلفة. ولقد اختلف على عددها وتصنيفها المفسرون. ولقد بلغ عدد هذه المعجزات، فى إعتقادي، ٢٧ معجزة على الأقل... (والله أعلم) .

من هذه المعجزات تسع آيات بينات نزلت على موسى لأتباعه ، ولفرعون وقومه، حتى يؤمنوا به كنبى وبربه الذى أرسله إليهم ( هذا خلاف ما جاءت به التوراة ) :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾

(الإسراء ١٠١)

فى البداية أرسل الله نبيه موسى إلى فرعون وقومه مؤيدا بمعجزتين فى مقام واحد ، وهو إثبات صدق موسى وصحة دعوته، وهى: "العصا" و "اليد البيضاء" :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٠٣﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٠٤﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿١٠٥﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۗ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿١٠٦﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۗ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿١٠٧﴾ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْأَكْبَرَىٰ ﴿١٠٨﴾ ﴾

(طه ١٧-٢٣)

ولما إستكبر الفرعون وعصى، إبتلاه الله بأيتين فى مقام آخر للتخويف والعذاب، وهى: "السنين" (أى القحط) و"نقص فى الثمرات" :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾

(الأعراف ١٣٠)

ضحك الفرعون وقومه فى البداية، ثم إستغاثوا وتوسلوا لموسى حينما عمهم البلاء. ووعدوه بالإيمان تارة، وبإرسال بنى إسرائيل معه تارة أخرى، إذا سأل ربه كشف ما وقع بهم من عذاب. وبعد ما كشف عنهم ما نزل بهم، حنثوا بعهودهم. فأنزل الله عليهم مزيدا من العذاب الأشد، بلغت خمس آيات أخريات لتصل فى مجموعها الى تسعة ليتعظوا، وهى: "الطوفان" (المطر وفيضان نهر النيل المرتفع) بعد سنوات القحط. و"الجراد" الذى يأتى على المحاصيل. و"القمل" الذى يفسد الثمار ويقضى على النبات والحيوان. و"الضفادع" التى تنتشر فتقلق الحياة والراحة. و"الدم" الذى يسبب الأمراض وأيضاً ينتج منها: "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ" (الأعراف: ١٣٣). ومع كل هذا أستمر الفرعون فى طغيانه إلى أن أنزل الله على موسى الآية الكونية الكبرى (البقرة: ٥٠)، التى هى، فى إعتقادى آيتان مختلفتا الهدف :

الأولى- شق مياه البحر لعبور موسى وقومه ونجاتهم .

الثانية- إطباق مياه البحر على فرعون وجنوده ، ليس لترهيب الفرعون حتى يؤمن كالآيات السابقة، ولكن للإنتقام منه بهلاكه، ثم إغراق جسده ( أى بدنه بعد موته) مع جنوده. وبعد ذلك تتجيبها لحنط وتحفظ وتعرض، لتكون عبرة وآية للأجيال من بعده حتى يومنا هذا. ولهذا فهى من الأفضل ألا تدخل

ضمن التسع آيات البينات وتحسب مع الآيات الأخرى الباقية، كما سوف نذكر فيما بعد .

أما بقية المعجزات السماوية، وهي ثمانية عشر، فقد نزلت لموسى ولقومه وأتباعه وللكفرة بربه فى خمس مقامات مختلفة، هى :

١- أربع آيات لموسى شخصياً، وهى :

إزالة عقدة لسانه ليفهمه قومه :

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحِلْ لِي عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾  
(طه ٢٥-٢٨)

ذك الجبل فى الأرض ليعلم موسى أن رؤيته لله مستحيلة :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ؕ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُنِي ؕ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ؕ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾  
(الأعراف ١٤٣)

جرى الحجر تلقائياً بملابسه وهو يغتسل، حتى يعلم المفترون عليه من قومه أنه سليم الجسم :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ؕ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾  
(الأحزاب ٦٩)

أعجوبة الحوت الميت الحى بقصته مع العبد الصالح :

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾  
 فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾  
 قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا  
 الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۗ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾

(الكهف ٦١-٦٣)

٢- خمس آيات للإقناع بقدره الله المطلقة ، وهى :

شق مياه البحر لعبور موسى وإتباعه إلى سيناء برًا للأمان :

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ  
 تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

(البقرة ٥٠)

كتابة الشريعة فى الألواح والوصايا العشر. فلقد أنزل الله التوراة على موسى  
 وفيها الهداية إلى الحق، وبيان بالأحكام التي يحكم بها النبيون :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ مَحْكُمٌ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا  
 لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّحِيمُونَ وَالْأَحْبَابُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا  
 عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۗ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي تَمَنَّا قَلِيلًا ۗ  
 وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(المائدة ٤٤)

نَتَقِ الْجَبَلَ (الطور) فوقهم ليمنتلوا لشريعة الله وأوامره :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ  
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا  
آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (الأعراف : ١٧١)

بقرة بنى اسرائيل وإحياء الميت :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخَبُوا بَقْرَةَ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا  
هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ  
لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ  
فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ  
يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْنَهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبُّكَ  
يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٨٠﴾ قَالَ  
إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ  
فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ قَدْ ذَخَعُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذْ  
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذَّارْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٨٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ  
بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

(البقرة ٦٧-٧٣)



﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ ۗ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۗ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

(البقرة ٥٧)

انشقاق الحجر إلى ١٢ عيناً، عين لكل سبط (قبيلة) فشرّبوا وملأوا أو عيبتهم :  
 ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۗ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۗ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (البقرة ٦٠)

٤- ثلاث آيات للتخويف والعقاب لحين، وهى :

موت ثم بعث السبعون رجلاً لما طلبوا رؤية الله جهرة :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(البقرة ٥٥-٥٦)

مخالفتهم تعاليم الله فى دخول بيت المقدس، فأنزل الله عليهم العذاب من السماء:  
 ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ ۗ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾  
 فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجُزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (البقرة ٥٨-٥٩)

الصيد يحاضرة البحر في يوم السبت المخصص لعبادة الله. فمسخ الله الضالين من أهل القرية حتى تصير طباعهم وسلوكهم كالقردة، عبرة لغيرهم، ونجى الفئة التي تمسكت بعهدها :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

(البقرة ٦٥)

٥- ثلاث آيات للانتقام من من طغى و تحبّر ونسى ربه، فأهلكه أو عذبه طوال حياته وإلى يوم القيامة، و هي :  
خسف الأرض بقارون و قصره :

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾

(القصص ٨١)

إصابة جميع الذين عصوا الله وكفروا وآياتة وقتلوا أنبيائه ظلماً وعدواناً (وسموا بالفاسقين) بالمذلة والفرقة (فقراء كانوا أو أغنياء)، وكذلك ملازمة غضب من الله عليهم :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ حُجِّجْ لَنَا بِمَاءٍ تَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ رَبِّكَ ﴾

اللَّهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

(البقرة ٦١)

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

(البقرة ٧٤)

﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٣﴾ ﴾

(النساء ١٥٥)

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَاتُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(المائدة ٦٤)

إطباق ماء البحر على الفرعون وجنوده ( البقرة: ٥٠، سبق ذكرها ) .

لما تم عبور جميع قوم موسى البحر إلى سيناء، كان جنود فرعون قد توسطوا طريق المعبر. وحينئذ أمر الله البحر أن يعود إلى طبيعته. فأنطبق عليهم وغطاهم الماء وطواهم (أى إستدار عليهم) وأغمى عليهم. فغرقوا في ماء يمكن أن يكون ضحضاحاً، أمام أعين بنى إسرائيل .

﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ﴾ ﴿٧٨﴾

(طه ٧٨)

أما الفرعون مدعى الإلوهية، فقد مات بالسكنة القلبية من هول ما رأى... ثم غرقت جثته بمعجزة كونية كبرى تتناسب مع جبروته وإستعلاءه .



موميا - رمسيس الثاني. منظر جانبي يوضح اليد اليسرى مرفوعة  
وهو وضع معاير لجميع المومياوات الأخرى.

ولتبيين كذلك أن الله أكبر، كما هو واضح فيما يلي: لما أكتشفت مومياء الملك رمسيس الثاني، فرعون موسى، حديثاً (أى بعد أكثر من ثلاثة آلاف سنة -عام ١٨٧٢م- وهي محفوظة بالمتحف المصرى حتى الآن) لوحظ أن يده اليسرى مرتفعة إلى أعلى عن الصدر، بينما اليد اليمنى مستريحة عليه. مما لفت النظر إليها بالنسبة لغيرها من المومياوات جميعاً، والتي فيها اليدان متقاطعتان ومستريحتان على الصدر. كأن الفرعون فى لحظة موته، كان يدرأ خطراً عن

نفسه بيده. وهذا، لو تخيلنا الأمر، يكون صحيحا. حيث أنه عند إنطباق أمواج البحر عليه، رفع يده اليسرى الممسكة بذرعه تلقائيا ليتقى بها لظمة موجة مندفعة نحوه، في حركة عصبية لا إرادية، لإتقاء خطر داهم ومرعب عليه، إلى درجة تقلصت لها عضلات كل من ذراعه الأيسر لحد التيبس، وقلبه لحد الممات....!

ولذلك لم يمتم الفرعون بإسفكسيا الغرق، ولكن الذي غرق في ماء ضحضاح هو بدنه الهامد بعد أن فارقت الحياة وهو واقف على عربته الحربية. وهذا يتمشى مع التقرير الطبي الفرنسي بعد فحص موميأوه حديثا. ومع أنه من المعروف طبيا، أن أى تقلص للعضلات عادة ما يحدث لها إرتخاء بعد يوم على الأكثر من الوفاة، إلا أن يد الفرعون اليسرى فقط، ظلت مرتفعة وكلما ضُمت الذراع إلى الصدر، عادت لترتفع ثانية....! حتى بعد تحنيط الجثة ودفنها آلاف السنين إلى يومنا هذا...! سبحان الله .

والسبب غير معروف.... أو لحكمة لايعرفها إلا علام الغيوب....

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ  
عَنِ آيَاتِنَا لَغَفِلُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾

(يونس ٩٢)

## أصحاب الكهف

### ( مَلَّتْهُمُ زَمَانَتُهُمْ وَمَكَانَهُمْ ... ؟ )

نزلت سورة الكهف لتثبت أن البعث بعد الموت إلي حياة الآخرة للحساب ، مثل الإحياء الدنيوي لأول مرة ، وأنه حق . فالكافر الساخر بربه وآياته ورسله يلقي جزاءه بإلقائه في جهنم . والمؤمن يكافأ علي عمله الصالح في دنياه بحسن الجزاء بنزوله في الجنة :

﴿ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۗ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۗ ﴾ ﴿٤٨﴾

(الكهف ٤٨)

﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي هُزُوًا ۗ ﴾ ﴿١٠٦﴾

(الكهف ١٠٦)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۗ ﴾ ﴿١٠٧﴾

(الكهف ١٠٧)

أما أصحاب الكهف فكانوا من الشباب المؤمن بالله الواحد ، الراضى الشرك به، وأنه أتخذ ولدا ، كما ادعى قومهم بدون إثبات ( أى كذبا ) :

﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۗ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۗ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ ﴾ ﴿٥٤﴾

(الكهف ٥٤-٥)

إن الذين أدعوا كذبا أن الله أتخذ ولدا هم قومان :

١ - أحبار اليهود ( أى حفظة التوراة وكتبتها ) القائلون أن عزرا ( أو عزير بالعربية ) ابن الله :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(التوبة ٣٠)

وكان ذلك بعد وفاة موسى بنحو ثمانية قرون، وقبل ميلاد المسيح بحوالي أربعة قرون (وقيل أنه أحد أنبياء بنى إسرائيل وإسمه " إرميا"، وهذا غير صحيح، لأن إرميا بن حلقيا كاهن آخر). آنذاك ( أى فى عهد ملك الفرس الرحيم " كورش " الأكبر، عام ٥٢٩ ق.م. ) عاد الفوج اليهودي الثاني من السبي الفارسي الذى حدث قبل ذلك بحوالى ٦٠ سنة (أى فى عهد ملك بابل " بختنصر") إلى أورشليم بقيادة الكاهن الحبر عزرا ( وتعني الكاتب). وللعلم، إن نسب عزرا ينتهي إلى فينحاس بن ألعازار بن هارون عليه السلام . لهذا لم يكن عزرا، فى بعض الآراء، نبياً ولكنه كان أحفظ الناس لتوراة موسى. هذا ولقد تغيب عزرا غيابا طويلا، ثم عاد قبل زمن زكريا عليه السلام، أى فى عهد ملك فارس "أرتاكرسيس الثاني"، عام ٤٠٤ - ٣٤١ ق.م. (أى غاب حوالى مائة عام). وكانت الديار بأورشليم قد خربت والرجال قد قتلوا ومظاهر العمران قد طمست. علاوة على إحراق التوراة واندثارها، ولم يبق فى بنى إسرائيل من يحفظها سوى عزرا... ولهذا قيل أن عزرا ابن الله...! فإنه وحده يعزى النص المقدس الذى إستنسخه من ذاكرته لتوراة موسى التى بين يدينا حالياً .

أما القرآن الكريم فقد ذكر قصة الذي مرّ علي قرية متهدمة وهلك أهلها، فقال كيف يُحيي الله هذه القرية بعد موتها ..... ؟ فأماتته الله هو وحماره ( وكان يحمل معه طعاماً وشراباً ) لمدة مائة عام ، ثم بعثه آية للناس في الإمامة والإحياء، ولم يُسمي صاحبها :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُمْ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾

(البقرة ٢٥٩)

من هذا يتضح أن بعض اليهود تركوا شريعة التوحيد بعد حوالي ٨٠٠ سنة من موت موسى ، مدّعين بأن الله قد إتخذ ولداً، وهو "عزرا أو عزير" الكاهن الكاتب . ومن أجل هذا، كان إضطهادهم لأخوانهم الذين ثبتوا علي شريعة التوحيد .

٢ - النصارى الذين أدعوا كذلك أن المسيح ابن الله :

سورة التوبة، الآية : ٣٠ ، كما أسلفنا .

كان ذلك بعد ميلاد المسيح بحوالى ثلاثة قرون (عام ٣٢٥ م . مجمع النيقاوى ثم عام ٣٨١ م . مجمع القسطنطينية ) أى في عصر الإمبراطورية الرومانية التي كانت تضم الشام وفلسطين ومصر تحت سلطانها . ودام حكمها نحو ٦٦٨ سنة (أى من ٣٠ ق.م . - ٦٣٨ م . ) . ولقد نصّت تعاليم المسيحية

بمذاهبها الثلاثة (الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية ) وطبقا للكتاب المقدس (الإنجيل)، على وجود ثلاث أصول (أى أقانيم) معا فى اللاهوت: تُعرف "بالأب والإبن والروح القدس" وهى متساوية فى وحدة اللاهوت. ولذلك كان إضطهادهم لإخوانهم المسيحيين الموحدين عنيفا ، لإشتراك الحكام الروم الوثنيين فى ذلك . بعد ذلك قرر مجمع طليطلة ( عام ٥٨٩ م. ) أن "الروح القدس ( أى جبريل وهو من الملائكة المقربين)" منبثق من الإبن أيضا. ولقد قبلت الكنيسة الكاثوليكية هذه الإضافة. أما الكنيسة الأرثوذكسية فقد رفضته على أنه بدعة. وكان هذا الخلاف هو سبب عدم إتحاد الكنيستين .

وفى هذا الصدد يوضح القرآن الكريم أن الله قد أمذ عيسى ابن مريم بالمعجزات العديدة وأيده بجبريل جبار الله والروح الأمين "روح القدس" :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۗ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۗ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَل الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

(البقرة ٢٥٣)

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۗ وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ۗ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۗ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۗ

وَإِذْ تَخْرُجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ۗ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

(المائدة ١١٠)

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ  
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ خَلَقَ  
مَا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ  
اللَّهِ وَأَحِبُّهُرُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۗ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ۗ يَغْفِرُ  
لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١١٨﴾ ﴾

(المائدة ١٧-١٨)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۗ  
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ  
وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۗ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۗ  
إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١١٣﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ  
عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۗ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ  
فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١١٤﴾ ﴾

(النساء ١٧١-١٧٢)

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِن دُونِهِ ۗ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَتُولَاءِ قَوْمَنَا أَلْتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ۗ إِلَهًا لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوَدْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئُ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِزْفًا ﴿١٦﴾ \* وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۗ ذَٰلِكَ مِّنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّ مَن يَهْدِ اللَّهُ فهُوَ الْمُهْتَدِ ۗ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾

(الكهف ١٤-١٧)

بالرجوع إلي ما تقدم، وإلي هذه الآيات السابقة من سورتي النساء والكهف يتبين لنا :

أن أصحاب الكهف كانوا من المسيحيين الموحدين سرّاً، والذين تعرضوا لهذا الإضطهاد الشنيع المزدوج ، والذي حدث في بداية النصف الثاني من فترة الأمبراطورية الرومانية ، وإنشطارها إلي شرقية وغربية، أي في الجزء الشرقي أو البيزنطي أو اليوناني (في عام ٣٩٥ - ٦٣٨ م). ورأوا بعيونهم قبح فعل ذويهم، الذين إفتروا علي الله كذبا وأشركوا معه، سبحانه، إلهين آخرين. فأخذوا علي عاتقهم هجرة الأهل والإنعزال عن الناس خوفا من الفتنة. وثبتت الله قلوبهم علي الإيمان وقواهم، فقاموا وقالوا لقومهم إنهم ملتزمون بشريعة التوحيد، وطلبوا من الله المغفرة والتوفيق والإرشاد والأمن من أعدائهم. وهداهم الله إلي اللجوء فرارا (ومعهم كلبهم) إلي كهف بدروب أورشليم (بيت المقدس مقر الحكم) .

ولقد كانت فتحة هذا الكهف واسعة ومتجهة إلي الشمال، حتي لا تدخله أشعة الشمس فتؤذيهم، وفي نفس الوقت تهب عليه الرياح الشمالية الباردة فترطبه وتحفظهم .

ولما ناموا حفظ الله أجسادهم مدة طويلة ( وهم لا يدرون ) لا يعلم مداها إلا هو ، وقيل أنها ٣٠٩ سنة... والله أعلم. وظن الفتية أنهم ناموا يوماً أو بضعة ساعات فقط . ثم بعثهم الله في زمن قوم مؤمنين به ، ليكون أمرهم آية أخري للإحياء للناس ، وليعلم أهل مدينتهم أن وعد الله بالبعث حق ، وأن القيامة لا ريب فيها . وكذلك لم يذكر الله عدد أصحاب الكهف ولا أسمائهم إلا للقليل من أهل الكتاب ، لأنها من غيبه وهو بغيبه أعلم :

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ۖ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾

(الكهف ١٩)

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِيهِمْ كَلْبُهُمْ ۖ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾

(الكهف ٢٢)

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ۖ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۗ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۗ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾

(الكهف ٢٥-٢٦)

بعد ذلك قبض الله أرواح أصحاب الكهف، فقال أهل المدينة إبنوا علي فتحة كهفهم حائطا. وقال أولي الأمر فيهم (أي الطبقة الحاكمة) بل لنتخذ عليهم مسجدا .

﴿ وَكَذَلِكَ أَغَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾

### (الكهف ٢١)

هذه الآية تلقي الضوء علي مكان الكهف، وأنه قريب من إقامة الناس والطبقة الحاكمة المسلمة للبلد، أي قريب من أورشليم. وكذلك على زمان بعث هؤلاء الفتية، وأنه واكب نزول القرآن الكريم وظهور الإسلام ( أي بعد عام ٦٠٩ م. ) بل وبعد دخول الإسلام فلسطين (أي بعد موقعة اليرموك، عام ٦٣٦ م. الموافق عام ١٥ هجرية. والدليل علي ذلك إستخدام إسم "مسجد" وتصريفاته لأول مرة ، مثل: ( مسجدا ، ومساجد الله ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى .....الخ ) ٢٨ مرة بالقران الكريم، بدلا من " البيت أو بيت الله " لأماكن العبادة والصلاة ، مثل: ( البيت الأول ، والبيت المعمور ، وبيت المقدس.....الخ ). والذي جاء ذكره بالكتاب العزيز ٢١ مرة ، كما هو واضح من التسلسل التاريخي لأحداث قصص الأنبياء من عهد إبراهيم وإسماعيل...إلي عهود يعقوب ويوسف والأسباط ... ثم موسي ... وعيسي ... عليهم جميعا السلام. كما يؤكد أن أصحاب الكهف كانوا من النصاري الموحدين... والحمد لله رب العالمين .